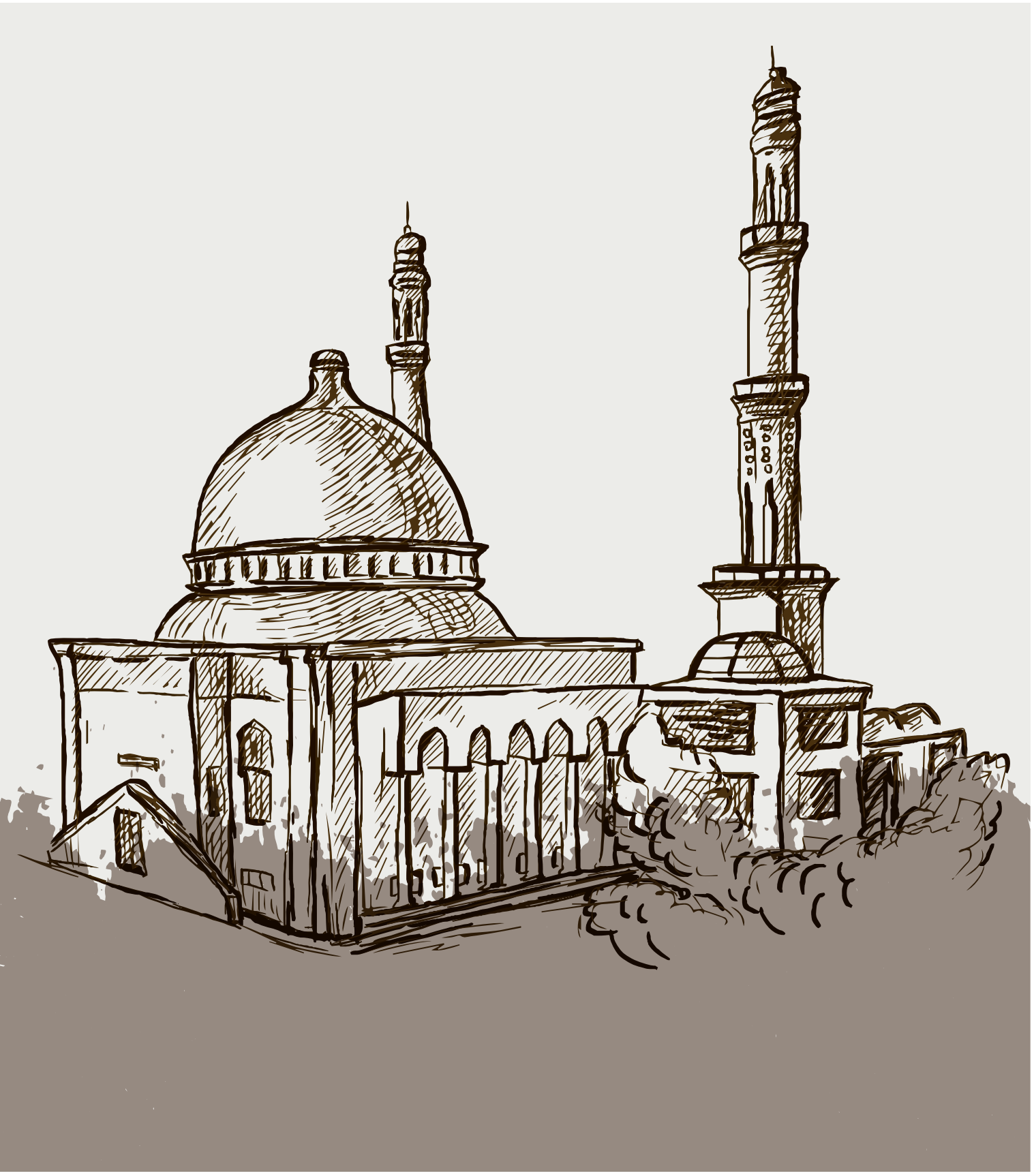

عن أبي هُرَيرةَ ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:

١ «مَن صام رَمَضَانَ إيمانًا واحتسابًا، غُفِرَ له ما تَقَدَّم من ذَنْبه،

٢ ومَن قام ليلةَ القَدر إيمانًا واحتسابًا، غُفِر له ما تقدَّم من ذَنْبه»(١١١).

٣ وعن أبي هُريرةَ ﷺ أيضًا، أن النبيَّ ﷺ قال:

٤ «مَن قام رمضانَ إيمانًا واحتسابًا، غُفِرَ له ما تقدَّم من ذَنْبه»(١١٢).

آيات

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ١٨٣ أَيَّامٗا مَّعۡدُودَٰتٖۚ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوۡ عَلَىٰ سَفَرٖ فَعِدَّةٞ مِّنۡ أَيَّامٍ أُخَرَۚ وَعَلَى ٱلَّذِينَ يُطِيقُونَهُۥ فِدۡيَةٞ طَعَامُ مِسۡكِينٖۖ فَمَن تَطَوَّعَ خَيۡرٗا فَهُوَ خَيۡرٞ لَّهُۥۚ وَأَن تَصُومُواْ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ١٨٤ شَهۡرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلۡقُرۡءَانُ هُدٗى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٖ مِّنَ ٱلۡهُدَىٰ وَٱلۡفُرۡقَانِۚ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهۡرَ فَلۡيَصُمۡهُۖ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوۡ عَلَىٰ سَفَرٖ فَعِدَّةٞ مِّنۡ أَيَّامٍ أُخَرَۗ يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلۡيُسۡرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلۡعُسۡرَ وَلِتُكۡمِلُواْ ٱلۡعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُواْ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمۡ وَلَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ﴾ [البقرة: ١٨٣ - ١٨٥].

﴿حمٓ ١ وَٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡمُبِينِ ٢ إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ فِي لَيۡلَةٖ مُّبَٰرَكَةٍۚ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ ٣ فِيهَا يُفۡرَقُ كُلُّ أَمۡرٍ حَكِيمٍ﴾ [الدخان: ١ - ٤].

﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ فِي لَيۡلَةِ ٱلۡقَدۡرِ ١ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا لَيۡلَةُ ٱلۡقَدۡرِ ٢ لَيۡلَةُ ٱلۡقَدۡرِ خَيۡرٞ مِّنۡ أَلۡفِ شَهۡرٖ ٣ تَنَزَّلُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ فِيهَا بِإِذۡنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمۡرٖ ٤ سَلَٰمٌ هِيَ حَتَّىٰ مَطۡلَعِ ٱلۡفَجۡرِ﴾ [القدر: ١ - ٥].

الراوي

هو: عبدُ الرحمنِ بنُ صَخرٍ الدَّوسيُّ، الأَزْديُّ، اليَمانيُّ، مشهورٌ بكُنيته، وهذا أشهرُ ما قيل في اسمه واسم أبيه، صاحبُ رسولِ الله ﷺ، أسلَمَ عامَ خيبرَ ٧هـ، ولازمَ النبيَّ ﷺ رغبةً في العلم، وكان يذهب معه أينما ذهب، وكان من أحفظِ أصحابِ رسول الله ﷺ، وأكثرهم رواية للأحاديث؛ «يروي عنه - كما قال البخاريُّ - أكثرَ من ثمانمائةٍ، ما بين صحابيٍّ وتابعيٍّ، استعمَلَه عمرُ بنُ الخطَّاب ﷺ واليًا على البَحرين، ثم بعد ذلك عاد وسكَن المدينة وانشغل برواية الحديث، وتعليم الناس أمور دينهم، وتوفي في المدينة سنةَ (٥٨هـ)»(١).

خلاصة

يُخبِر النبيُّ ﷺ أنَّ من صام رمضان مؤمنًا بأنه فرضٌ واجبٌ عليه، محتسِبًا الأجرَ على الله سبحانه، غفَر الله له ما سبق من ذنوبه، ومَن قام ليلة القدر كذلك مؤمنًا محتسِبًا، غُفِر له ما سبق من ذنوبه، ومن باب أَولى من قام رمضان كلَّه؛ فإنَّه يُغفَر له ما تقدَّم من ذَنْبه كذلك.

(١) تُراجع ترجمته في: «معرفة الصحابة» لأبي نُعيم (٤/ ١٨٤٦)، «الاستيعاب في معرفة الأصحاب» لابن عبد البر (٤/ ١٧٧٠)، «أُسد الغابة» لابن الأثير (٣/ ٣٥٧)، «الإصابة في تمييز الصحابة» لابن حجر العسقلانيِّ (٤/ ٢٦٧).

(١١١) رواه البخاريُّ (١٩٠١)، ومسلم (٧٦٠).
(١١٢) رواه البخاريُّ (٣٧)، ومسلم (٧٥٩).

١ يَذكر النبي ﷺ أنَّ مَن صام شهر رمضان مؤمنًا بأن اللهَ عزَّ وجلَّ قد فرَضه عليه، ومُصَدِّقًا بموعود الله تعالى للصائمين وما أعدَّه لهم، ومحتسِبًا الأجرَ والثوابَ من الله سبحانه، لا يرجو جزاءَ ذلك من أحدٍ غيره، بل يريدُ به وجهَ الله تعالى من غير رياءٍ أو سُمعة، مُتلقِّيًا الشهر بطِيب نفسٍ، مغتنِمًا الأوقاتِ في طاعة الله تعالى والقُرب منه - فجزاؤه أنَّ اللهَ سبحانه يَغفر له ما تقدَّم من ذَنْبه.

والصِّيامُ: الامتناع عن الطعام والشراب والشهوة، بنية العبادة لله تعالى، من أذان الفجر إلى أذان المغرب؛ لقوله تعالى: ﴿وَكُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ ٱلْخَيْطُ ٱلْأَبْيَضُ مِنَ ٱلْخَيْطِ ٱلْأَسْوَدِ مِنَ ٱلْفَجْرِ ۖ ثُمَّ أَتِمُّوا۟ ٱلصِّيَامَ إِلَى ٱلَّيْلِ﴾ [البقرة: ١٨٧]، وقال الله عزَّ وجلَّ في الحديث القدسي: «يَدَعُ شَهْوَتَه وطعامَه من أجْلي»[١١٣].

٢ ثم أخبَر ﷺ أنَّ مَن قام ليلة القدر بالصلاة والدعاء والذِّكر وقراءة القرآن ونحو ذلك من العبادات، شريطةَ الإيمان والاحتساب كذلك؛ فقد غُفر له ما تقدَّم من ذَنْبه. ولا يُشترَط في ذلك أن يقوم العبدُ الليلةَ كلَّها، بل يحصل ذلك بقيام جزءٍ منها ولو يسيرًا، كما في مُطلَق التهجُّد أو إدراك صلاة القيام مع الإمام[١١٤].

وقد سُمِّيت ليلةُ القدْر بهذا الاسم لأنَّها عظيمة القَدْرِ عند الله؛ ففيها نزل القرآنُ إلى بيت العزة في السماء الدنيا؛ لقوله تعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ﴾ [القدر: ١]، وفيها نسخُ مقادير العباد التي تَحدُث في تلك السَّنة من اللَّوح المحفوظ، فتُساق إلى مواقيتها[١١٥]. وقد منَّ اللهُ سبحانه على عباده بمُضاعَفة الحسنات في تلك الليلة، فهي كما قال سبحانه: ﴿لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ﴾ [القدر: ٣].

وليلةُ القدر مُبهَمةٌ في العشر الأواخر من رمضان، فمن قام العشرَ جميعًا فقد أدرك ليلةَ القدر لا مَحالة؛ قالت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها: «كان النبيُّ ﷺ إذا دخل العشْرُ، شدَّ مِئْزَرَهُ، وأحْيا ليله، وأيقَظ أهله»[١١٦]، وهي أحرى أن تكون في الوتر من تلك الليالي؛ لقوله ﷺ: «تَحَرَّوْا لَيْلَةَ القَدْرِ فِي الوِتْرِ مِنَ العَشْرِ الأَوَاخِرِ مِنْ رَمَضَانَ»[١١٧].

---

(١١٣) رواه البخاريُّ (١٨٩٤)، ومسلم (١١٥١).

(١١٤) انظر: «طرح التثريب في شرح التقريب» للعراقي (٤/ ١٦١).

(١١٥) انظر: «المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم» للقرطبي (٢/ ٣٩٠).

(١١٦) رواه البخاريُّ (٢٠٢٤)، ومسلم (١١٧٤).

(١١٧) رواه البخاري (٢٠١٧)، ومسلم (١١٦٩).

٣ وفي الحديث الآخر أخبَر ﷺ أنَّ من قام جميع ليالي رمضان مؤمنًا محتسِبًا، فقد غُفر له ما تقدَّم من ذنبه. ولا تعارض بين مغفرة الذنوب بقيام رمضان كله وبقيام ليلة القدر؛ فإنَّ كلَّ واحدٍ منهما صالحٌ لتكفير السيئات، إلَّا أنَّ في كلِّ واحدٍ ما ليس في الآخر؛ فقيام جميع رمضان شاقٌّ إلا أنَّ قائمَه يُدرِك ليلة القدر لا مَحالة، فيُغفَر له بقيام رمضان وبإدراك ليلة القدر، وقيام ليلة القدر ليست في مَشقة قيام الشهر كلِّه، إلَّا أنَّها تحتاج إلى تَحَرٍّ وتخمينٍ، وقد يصيبُها المرءُ بعد ذلك وقد لا يصيبها، فصار الأفضل قيام جميع الشهر؛ لِما فيه من الأجر، ولتَيَقُّن قيام ليلة القدر.

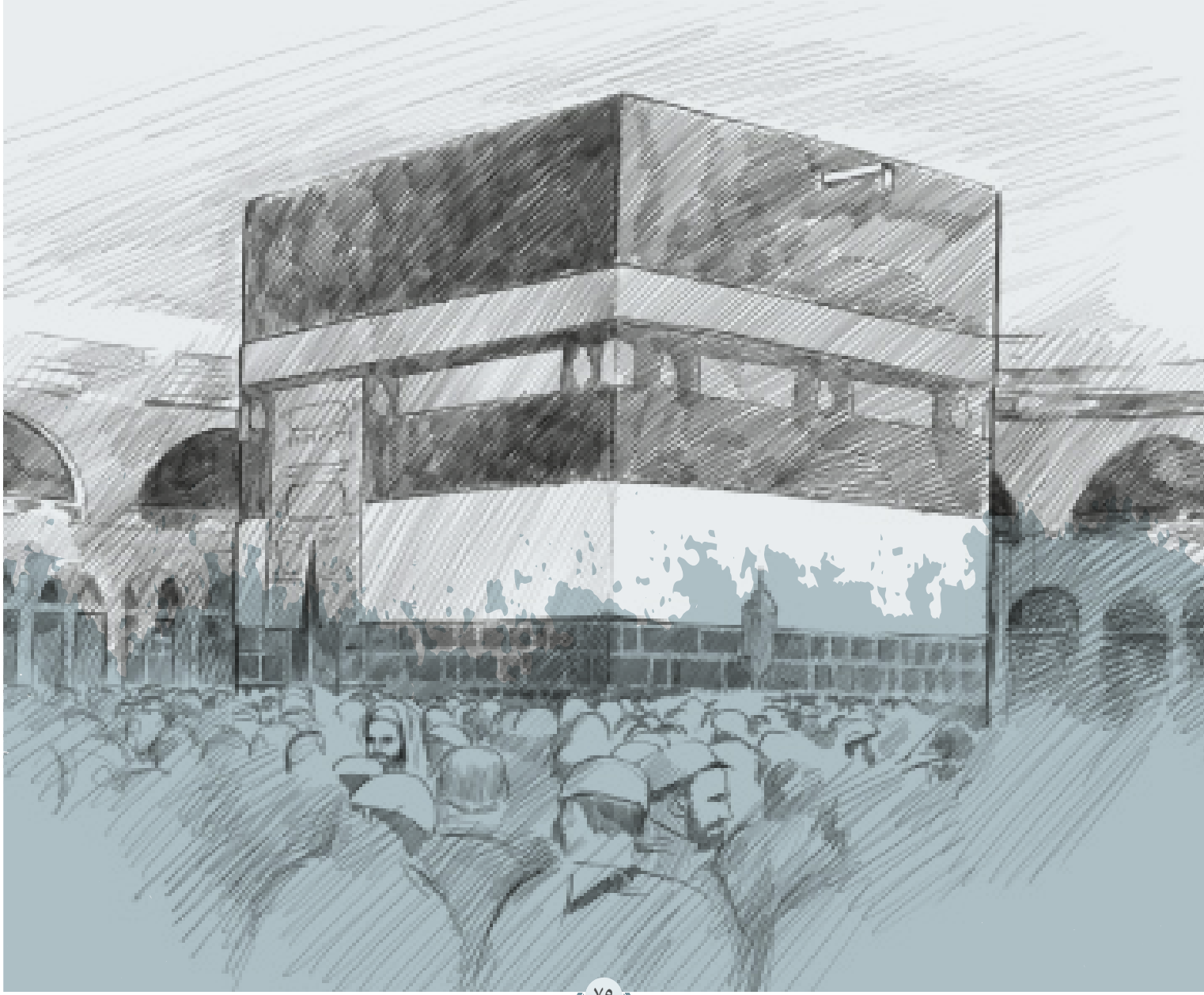

١ (١) مِن عظيم لُطف الله بنا أن جَعَل لبعض الأزمنة والأماكن فضائلَ ومزايا ليست لغيرها؛ فجَعَل يومَ عرفةَ خيرَ أيَّام العام، ويومَ الجُمُعة أفضلَ أيام الأسبوع، وجعل الكعبةَ أفضلَ البقاع، وشهرَ رمضان أفضلَ الشهور، وليلةَ القَدْر أفضلَ الليالي جميعًا. وقد جعل الله في تلك الأوقات والأماكن من الفَوز العظيم والفلاح المُبين ما يُحفِّز الإنسانَ على العمل، واغتنام النَّفَحات.

٢ (١) لا بُد في الأعمال من الإيمان والاحتساب؛ فإنَّ الأعمال لا تُقبَل من غير المؤمن، ولا يُؤجَر عليها مَن لم يَحتسِب العملَ أو جعَله رياءً وسمعةً؛ لقوله ﷺ: «إنما الأعمالُ بالنِّيَّات»[١١٨]. فعلى المسلم أن يَستحضر النيَّة الخالصة في جميع أعماله، وأن يحتسِبَ كلَّ ما يعمله ابتغاءَ مرضات الله عزَّ وجل.

٣ (١) الإيمان والاحتساب أصلُ كلِّ عملٍ، حتى إنَّهما اجتمَعا في تعريف طَلْق بن حَبيب رحمه الله تعالى للتقوى بقوله: «أن تَعمَل بطاعة الله، على نور من الله، ترجو ثواب الله، وأن تتركَ مَعصية الله، على نُور من الله، تَخاف عِقاب الله»، فلا بدَّ لكل عملٍ أن يكون مَبدؤُه الإيمانَ، وغايتُه ثوابَ الله، وابتغاءَ مرضاته[١١٩].

٤ (٢) أخفى اللهُ عزَّ وجل ليلةَ القدر ليَجتهِد العبدُ في طاعة الله تعالى في جميع الأوقات، فلا يَجتهد في ليلةٍ ويَدَع سائر الليالي، كما أخفى سبحانه ساعةَ الإجابة يوم الجمعة لذلك؛ كي يدعوه عبادُه في جميع اليوم.

٥ (٢) المعاصي من أكبر الأسباب التي تَحُول بين العبد وبين التوفيق لاغتنام الطاعات؛ فإنَّ النبيَّ ﷺ خرج يُخبِر النَّاسَ بليلة القدر، فوجد رجُلَين يتشاجرانِ في المسجد، فنَسِي النبيُّ ﷺ وقتَها بسبب ذلك[١٢٠]. فعلى المسلم أن يبتعد عن المعاصي حتى ينير اللهُ قلبَه ويوفِّقَه لاغتنام النَّفَحات والطاعات.

٦ (٣) أمامك طريقان لتَنال غُفران الله؛ أحدهما فيه مشقَّة لا تخلو عن لذَّة الطاعة والقُرب من الله تعالى، بقيام ليالي رمضانَ كلِّها. والآخَر: يسير، وهو الاقتصار على قيام ليلة القدر وتحرِّيها، فالأول يقين، والآخر مَبْناه على الظنِّ والتَّخْمِين، فأيَّهما تختار: الظنَّ أم اليقين؟

---

(١١٨) رواه البخاريُّ (١)، ومسلم (١٩٠٧).

(١١٩) انظر: «الرسالة التبوكية = زاد المهاجر إلى ربه» لابن القيم (١/ ١٠)، «مدارج السالكين» لابن القيم (١/ ٤٥٩).

(١٢٠) رواه البخاري (٢٠٢٣).

٧ (٣) قال ابن رجب رحمه الله: «المحبُّون تطُول عليهم الليالي فيَعُدُّونها عدًّا لانتظار ليالي العشر في كل عام، فإذا ظَفِروا بها نالوا مَطلوبهم، وخدَموا مَحبوبهم»[١٢١].

قال الشاعر:

رَمَضَـــانُ بِالحَسَنَاتِ كَفُّكَ تَزْخَـرُ ... وَالكَوْنُ فِي لَأْلاءِ حُسْنِكَ مُبْحِرُ

يَـا مَوْكِبًـا أَعْـــلامُهُ قُدْسِـــيَّةٌ ... تَتَزَيَّنُ الدُّنْيَـا لَهُ تَتَعَطَّـــــرُ

أَقْبَلْتَ رُحْمًا فَالسَّـمَاءُ مَشَـاعِلٌ ... وَالأَرْضُ فَجْرٌ مِنْ جَبِينِكَ مُسْفِرُ

هَتَفَتْ لِمَقْدِمِكَ النُّفُوسُ وَأَسْرَعَتْ ... مِنْ حُـوبِهَا بِدُمُوعِهَـا تَسْتَغْفِرُ

(١٢١) «لطائف المعارف» لابن رجب (ص: ٢٠٤).